بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره، وفي اللوح المحفوظ سطره، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

اعلم أخي المسلم ـ رحمك الله ـ أنه يجب عليك الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره ،كيف وهو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقه كما أخبر بذلك النبي ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان فقال:((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)). وقال ﷺ:((لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره)).

{معنى القدر لغة وشرعا}

القدر في اللغة هو: ـ بفتح الدال وإسكانها ـ أي: مبلغ الشيء وكنهه.

وفي الشرع :ما قدره الله في الأزل أن يكون بناء على علمه السابق بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل خلقها.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب الإيمان بالقدر،فمن الكتاب قوله تعالى:{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}،ومن السنة حديث جبريل المتقدم وفيه ((وتؤمن بالقدر خيره وشره))، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد انعقد إجماع السلف ومن بعدهم من الأئمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره،كما نقل ذلك غير واحد من العلماء المحققين.

ثم اعلم أخي المسلم ـ وفقك الله ـ أن للقدر مراتب لا يصح الإيمان به إلا بتحقيقها، وهي أربعة مراتب:

{ المرتبة الأولى: علم الله بالأشياء قبل كونها }

أي [الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات؛ فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله، وكثيره وقليله ، وظاهره وباطنه ، وسره وعلانيته ، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب] . (معارج القبول للحكمي).

والدليل على هذه المرتبة **أولا من الكتاب**: قال تعالى:{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}، وقال تعالى:{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}.

ثانيا: من السنة : عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أيُعْرَفُ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال ((نعم)). قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: ((كل يعمل لما خلق له أو لما يُسّرَ له)) [أخرجه البخاري ومسلم].

وحديث علي رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ قال :((ما منكم من نفس إلا وقد عُلمَ منزلها من الجنة والنار))، قالوا: يا رسول الله ! فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال:((لا، اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له،ثم قرأ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}إلى قوله:{ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}. [أخرجه البخاري6605، ومسلم2647]

{ المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها }

أي الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق والأشياء، فما يحدث شيء في الكون إلا وقد علمه وكتبه قبل حدوثه.

والأدلة على ذلك **أولا من الكتاب**: قال تعالى:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، وقوله:{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

ثانيا: من السنة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء)).[أخرجه مسلم2653].

{ المرتبة الثالثة: مشيئته لها }

((أي الإيمان بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه، ولايكون في ملكه ما لا يريد)).

والأدلة على هذه المرتبة **أولا من كتاب الله** : قال تعالى: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وقال سبحانه:{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

ثانيا الأدلة من السنة: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:((إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء))، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)). [أخرجه مسلم2654].

{ المرتبة الرابعة خلقه لها }

أي الإيمان بأن الله خالق كل شيء؛ فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السماوات والأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها)) [معارج القبول].

والأدلة على هذه المرتبة **أولا من الكتاب**: قال تعالى:{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}، وقال سبحانه: { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}.

ثانيا الأدلة من السنة: عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :((إن الله خالق كل صانع وصنعته)).

ثم اعلم رحمك الله أن[الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال تعالى: { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا}، وقال تعالى:{ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}، **وأما الواقع**: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل ويترك،ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وبين ما يقع بغير إرادته كالارتعاش،لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، قال تعالى:{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول:قوله تعالى:{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ}،ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني:قوله تعالى:{ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}،ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل،لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله.

الثالث:ما رواه البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:((((ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار))، قالوا: يا رسول الله! فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: ((لا، اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}إلى قوله:{ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى }))، فأمر النبي بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع،قال تعالى:{ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}،وقال:{ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}ولو كان العبد مجبرا على الفعل لكان مكلفا بما لا يستطيع الخلاص منه، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل،أو نسيان،أو إكراه،فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوعه،وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله،وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السابع : أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟!أفليس شأن الأمرين واحد؟!] (من كلام الشيخ العثيمين بتصرف)

فهذا مختصر معتقد أهل السنة في القدر فعض عليه بالنواجذ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.